

الجامعة المستنصرية/كلية الآداب-قسم التاريخ

محاضرات التاريخ السياسي للعصور الوسطى الاوربية/ المرحلة

الأولى-الفصل الدراسي 2018-2019

مدرس المادة: د. ثامر مكي علي

المحاضرة السادسة/

## قبائل الهون والجرمان ، اصولها وتحركاتها

تعرضت الإمبراطورية الرومانية لغزوات القبائل التيتونية التي زحفت من موطنها الاصلي في شبه الجزيرة الاسكندنافية والتي ساهمت بشكل اساسي في اسقاط الإمبراطورية، وقد أطلق الرومان على هذه القبائل اسم الجرمان التي تشير إلى اسم احدى القبائل التيتونية، كما أطلقوا عليهم اسم البرابرة التي لاتعني في الاصل الهمج أو المتوحشين بل تشير في الأصل اللاتيني إلى اولئك الناس الذين لايتكلمون اللغة اللاتينية واللغة اليونانية، ولكن بمرور الوقت والزمن اصبحت هذه اللفظة تطلق على الذين تختلف حضارتهم أو نقل شأناً عن الحضارة اليونانية والرومانية، واخيراً اطلقت على اولئك المتخلفين حضارياً أو الذين تعوزهم صفات واخلاق المجتمع المتمدن.

بدأت القبائل الجرمانية في التحرك باتجاه نهري الراين والدانوب من اماكن سناها حول بحر البلطيق حوالي 500 ق . م واستمرت حركتها هذه مدة خمسة قرون دون توقف، كان الرومان خلالها منهمكين في حل مشكلاتهم الداخلية وفي فتوحاتهم الخارجية، فلم يكثرثوا كثيراً لهؤلاء الجرمان البعيدين عنهم الذين يعرفون عنهم إلا الشيء القليل.

كانت هذه القبائل خلال القرون الثلاثة التي سبقت سقوط الإمبراطورية تعاني من خلافات ومشاكل قبلية بحيث مكنت الحكومة الرومانية لفترة طويلة من استخدام احدى القبائل ضد الأخرى وتحريك زعيم ضد آخر يمكنه الاحتفاظ بنوع من السيطرة والنفوذ

عليهم، والملاحظ انه خلال تلك القرون لم تحدث مشاكل بين هذه القبائل والامبراطورية بل كانت علاقتهم جيدة إذ استقروا على حدود الإمبراطورية واصبحوا مزارعين في الحقول الرومانية، فيما خدم بعضهم في الجيش الامبراطوري.

ومع مطلع القرن الرابع الميلادي تغيرت العلاقات بين الجرمان والرومان، إذ انتهى عهد السلم بينهم، لإسباب عدة أهمها الضغط الذي تعرضت له القبائل الجرمانية نفسها من جراء زحف قبائل الهون الآسيوية نحو أراضيها المر الذي اضطرها إلى التوغل في الأراضي الرومانية، فضلاً عن تزايد ضعف الإمبراطورية الرومانية وافتضاح امر هذا الضعف امام القبائل الأمر لاذي شجعها على الاستفادة من الفرصة المتاحة امهامها.

## قبائل الهون الآسيوية:

وهي من القبائل الآسيوية التي تسكن منطقة السهوب الآسيوية، وكان الهون يعتمدون على الرعي في معيشتهم، فيتبعون العشب جنوباً في الشتاء، وشمالاً في الصيف، وهؤلاء ماهرون في ركوب الخيل وفي القتال والطن من على ظهورها، وقد أكسبهم هذا تفوقاً على خصومهم، وبما إنه كانت معيشتهم تعتمد على الرعي فإنها كانت مهددة بالجفاف من وقت لآخر، وحتى ما فشلوا في سد حاجاتهم اندفعوا بسرعة وعنف في مهاجمة من يجاورهم من الشعوب، واغلب الظن ان اواسط اسيا عانت فترة من الجفاف طويلة امتدة على مدى اربعة قرون.

بدأ الهون تحركهم من مناطقهم في منتصف القرن الأول قبل الميلاد متجهين في بادئ الامر نحو الحدود الصينية ولكن قدرة الاباطرة الصينيون وقوة الأستحكامات الممتدة من اطراف شمال الصين إلى تركستان الشرقية، أنقذت الصين من دمار محتم، لذا اتجهوا إلى الغرب. ووصلت بها إلى أوروبا في القرن الرابع فأكتسحوا مملكة الغوط الشرقيين في جنوب روسيا واخضعوا قبائلها لهيمنتهم سنين طويلة، ثم واصل الهون زحفهم غرباً وهاجموا الغوط الغربيين والوندال، الامر الذي دفع هؤلاء إلى الفرار والحتماء بحدود الإمبراطورية الرومانية.

## الغوط الغربيون:

لجأ الغوط الغربيون عام 376م إلى الحدود الرومانية ملتجئين من الامبراطور فالنز السماح لهم بعبور نهر الدانوب والاستقرار في الأراضي الرومانية، واستجاب الامبراطور لطلب الغوط وسمح لهم بالعبور، وربما كان يرى إن هذا في صالح الإمبراطورية حيث إنهم سيكونون حاجزاً بينهم وبين قبائل الهون في حالة استمرار تقدم هذه القبائل باتجاه الغرب.

استقر الغوط في دالماشيا، وسرعان ما نشبت خلافات بينهم وبين الموظفين الرومانيين الذين تعسفوا في معاملتهم واحتجزوا عنهم المواد الغذائية وفرضوا قيوداً على تحركاتهم وتطور الخلاف إلى حرب سافرة، واسبغ الامبراطور فالنز على راس قوة لم تعد إعداداً ملائماً لمواجهة الموقف وتأديب الغوط الغربيين فحدثت معركة أدريّة عام 378م هزم فيها الرومان هزيمة ساحقة وقتل فيها الامبراطور نفسه.

تمثل معركة أدريّة أول انتصار كبير حققه الجرمان على الجيش الروماني وقد اظهرت المعركة تفوق سلاح الفرسان السريع الذي كان الاساس في جيش الغوط الغربيين على سلاح فرقة المشاة الرومانية.

لم يغادر الغوط الغربيين الأراضي الرومانية بعد هذه المعركة كما واخذ الجرمان بشكل عام منذ هذا التاريخ يقيمون ممالكهم ضمن حدود الإمبراطورية.

استطاع الامبراطور ثيودوسيوس الأول (379-395)م الذي تولى الحكم بعد الامبراطور فالنز معالجة الخطر الغوطي بعدما لجأ إلى الحكمة والدبلوماسية بدلاً من الحرب، فعقد معهم إتفاقاً في عام 382م. أصبحوا بموجب معاهدين له وأعفاهم من الضرائب المفروضة عليهم مقابل الخدمة العسكرية في صفوف الجيش الامبراطوري، وقد أطلق على هذا الامبراطور لقب صديق الغوط.

اختلفت العلاقة بين لاغوط والامبراطورية الرومانية بعد وفاة الامبراطور ثيودوسيوس الأول عام 395م، لاسيما بعد ان قسم هذا الامبراطور الإمبراطورية بين ولديه هو نوريوس واركاديوس، إذ اصبح الأول على الجزء الغربي، ولاتاني اصبح امبراطوراً على الجزء الشرقي، والجدير بالذكر ان هذين الامبراطوريين كانا من الأباطرة الضعفاء جداً بحيث اصبح المجال مفتوحاً امام الغوط للهجوم على الإمبراطورية.

كان الغوط الغربيين خلال تلك الفترة تحت زعامة الأريك زعيم إحدى القبائل الغوطية اللامعة، وقد أستغل هذا رفض الإمبراطورية دفع الجزية السنوية المقررة لهم، فاندفع نحو الامراطورية لمهاجمتها وحاصر الامبراطور هونوريوس، إلا انه فشل بسبب تصدي القائد ستيلكو الذي عهد اليه الامبراطور ثيودوسيوس الأول برعاية ولديه من بعده، وقد نجح في انقاذ الإمبراطورية ودحر الغوطيين عام 402م.

خلال السنوات اللاحقة ساءت العلاقة بين ستيلكو والامبراطور بسبب الوشائيات، وفي عام 408م اعدم الامبراطور ستيلكو ونكل بجميع اتباعه واعوانه، فأستغل الاريك هذا الامر وحاصر الإمبراطورية بعد شهرين من اعدام ستيلكو، ولم يتراجع الا بعد ان دفعت له مبالغ كبيرة من المال ذهباً وفضة.

وفي عام 410م اعاد الاريك حصار روما وفي ليلة 24 آب 410م فتحت له ابواب المدينة فدخلها واستباحها لمدة ثلاثة ايام، ثم انسحب نحو الجنوب وخلال عودته حطمت عاصفة هوجاء اسطوله فاضطر إلى العودة إلى الشمال ومات فجأة في آواخر عام 410م. ودفن في قبر احد الأنهر مع جزء من خزانته وقتل اتباعه جميع العبيد الذين اشتركوا في عملية الدفن كي يبقى القبر مجهولاً ويحتفظ بسرية الموقع.

خلف الأريك شقيقه اتولف، وقد كان معجباً بالامبراطورية وراغباً في إفاقتها من عثرتها، فعرض خدماته على الامبراطور هونوريوس، وفي عام 411م تزوج شقيقة الامبراطور بلاسيديا التي كان الغوط قد احتفظوا بها أسيرة عندهم، ووعد اتولف الامبراطور بإن يطرد من بلاد الغال واسبانيا الذين يتآمرون للإستيلاء على العرش الامبراطوري وبالفعل نجح في الانتصار عليهم ودخل اسبانيا غلا انه اغتيل عام 415م.

خلف اتولف والياً في حكم الغوط عام 415م، وحاول الابحار إلى افريقيا، الا ان اسطوله تحطم، ثم استأصل جيش الوندال في اسبانيا وحاصره في جزء ضيق في الشمال الغربي من هذه البلاد، وأخيراً استقر الغوط الغربيون في بلاد الفال وفي عام 420م توفي والياً.

بلغت قوة الغوط الغربيين اقصاها في عهد ملكهم ارك، وكان هناك احتمال الازدهار لهذه الدولة واستمرارها، وقد شيد ارك بلاطاً فخماً على غرار بلاط الاباطرة الرومان، واعترف به الفرنجة والبرغنديون وفي عهده وضعت اقدام القوانين الجرمانية المدونة وفي عام 485م توفي ارك، وبعد وفاته تمزقت دولة الغوط الغربيين واستولى الفرنجة والقوط الشرقيين على مناطقهم، وبقي نفوذهم في اسبانيا إلى عام 711م، حيث انتزعها منهم المسلمون.

## الوندال:

توجه الوندال إلى افريقيا عام 429م بعد فشلهم في السيطرة على بلاد الغال واسبانيا، إذ تم دحرهم من قبل الفرنجة والقوط الغربيين، وكانت اوضاع شمال افريقيا مناسبة لهم، فقد كانت الفوضى طاغية والخلافات مستحكمة بين حكامها الرومان والثورات مستمرة، وقد دعا الثوار ملك الوندال جزريك لغزو اسبانيا فلبى الدعوة في الحال وعبر إلى شمال افريقيا. وفي عام 435م اعترف الامبراطور الروماني بسيطرة الوندال على جزء مهم من شمال افريقيا مشترطاً دفع جزريك مبلغاً سنوياً من المال من باب الاعتراف بالسيادة. وتجاهل جزريك هذا الشرط، بل انه تقدم إلى قرطاجة فأحتلها وكان الوندال في هذا الوقت قد كونوا لهم اسطولاً قوياً فرض نوعاً من السيطرة على البحر المتوسط وعلى اجزاء مهمة من سواحلها.

وفي عام 442م عقد الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني معاهدة مع الوندال اعترف لهم بموجبها بالسيطرة على أغنى المناطق ولم يبق للرومان سوى المناطق الداخلية الفقيرة.

جاءت الفرصة للوندال لضرب روما عام 455م وترجع هذه الاحداث إلى مصرع الإمبراطور فالنتينان الثالث على يد أحد اعضاء مجلس الشيوخ ويدعى بترونيوس الذي اجبر الامبراطورة الأرملة يودوكيسا على الزواج منه، فسرعان ما طلبت الإمبراطورة مساعدة الوندال، فتحرك الوندال عبر البحر لمساعدتها وحاصروا روما، ولم تتجح محاولات البابا ليو الأول في اقناذ المدينة وبيحت روما للنهب لمدة اربعة عشر يوماً بطريقة بربرية اصبح معها اسم الوندالية يطلق على كل تخريب يتم فيه التدمير لإشباع رغبة التدمير فقط.

وقد حكم جسريك البحر المتوسط لعشرين عاماً متحدياً الامبراطوريين ومات عام 477م وماتت معه عظمة شعبه لإن مملكة الوندال قد مزقتها الاختلافات الدينية وثورات البربر وأخيراً سقطت على يد القائد البيزنطي بليساريوس في عهد الإمبراطور جستتيان الأول عام 534م.

## تجدد خطر الهون:

تجدد خطر الهون على أوربا بعد ان اصبح اتيلا ملكا عليهم وكان هذا ملكا كفؤاً ولكنه كان مخيفاً ومرعباً، وقد أطلق عليه معاصرون نقمة الله. غزا اتيلا بلاد البلقان واجبر امبراطور القسطنطينية على دفع ضريبة له. وفي عام 451م وصل بلاد الغال، فتحالفت الشعوب الجرمانية والرومانية محاولة وقف تقدمه وحالفهم الحظ فدحر اتيلا عام 451. إلا ان هذه الهزيمة لم تقض على المقاومة الهونية، إذ غزا اتيلا ايطاليا مدمراً عدة مدن في جهاتها الشمالية ثم زحف على روما سنة 452 وتشير المصادر الكنسية إلى انه ارتد عن روما نتيجة لمعجزة حققها البابا ليو الثالث عندما نجح بأقناعه بالانسحاب، ولكن الأسباب الواقعية لانسحابه تعود لانتشار الطاعون في جيشه ولأقتراب جيوش اينوس منه، وقد تحطمت الإمبراطورية الهونية على اثر وفاة اتيلا سنة 453 نتيجة للحروب الاهلية بين اولاده ولثورة القبائل الجرمانية الخاضعة لهم، وخاصة قبائل الغوط الشرقية التي تحررت من البتر الهوني.

## نهاية الإمبراطورية الرومانية:

تدهورت اوضاع الإمبراطورية الرومانية خلال الفترة الممتدة بين 455-476م ، إذ تميزت بظهور تسعة اباطرة. حيث رشح الغوط الغربيون في بلاد الغال افينوس سنة 455 وعدل عن المنصب لعدم موافقة مجلس الشيوخ في روما، فأختار الجيش الجنرال الغوطي Majorian ماجورينان 456-461م الذي اضطر إلى التنازل لمعارضة الجنرال البربري ريكيمر، ورشح الاخير صنيعته الجنرال سيفروس المتهم بالوثنية وتمكن الجنرال ريكيمر ، وتمكن من القاء القبض عليه واعدامه، ثم اختار ريكيمر اوليريوس الذي حكم لشهرين فقط سنة 472 حيث مات بصورة طبيعية وتولى بعده كليكريوس سنة 473م وسرعان ما خلع في نفس السنة، ثم حكم بعده ثيوس لسنتين فقط، إذ تمكن الجنرال اورستزمن خلعه واسناد العرش إلى ولده روميلوس عام 475م ، هذا وقد انهالت على ايطاليا في هذه الفوضى قبائل بربرية متعددة وطلب الغزاة من اورستز ثلثي الأراضي الايطالية وعند رفضه عمدوا إلى قتله واستبدال روميلوس بادو اكر سنة 476م. وكان الاخير ابن ادكون احد وزراء اتيلا، فقدم ادو اكر طلب للامبراطور زينو في الشرق من خلال مجلس الشيوخ في روما يلتمسه الموافقة على حكمه للغرب نيابة عن الإمبراطور، واضطر الأخير على الموافقة، وبذلك انتهى حكم اباطرة الغرب منذ ذلك التاريخ.